ونفى من بعده لابتدا الغاية والمعنى احد سواه ابدا من بعد الزوال انه كان اي ازلا وابدا
حليما اذا امسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا كما قال تعالى تكاد السموات
يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ولا يستعجل الامن يخاف الامن
يبتهز الفرصة الفوت فينتهز الفرصة غفورا اي محا الذنوب من رجع اليه
واقبل بالاعتراف عليه فلا يعاقبه ولا يعاتبه ولما بلغ كفار مكة ان اهل الكتاب
كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود اتتهم الرسل فكذبوهم واقسموا اي كفار
مكة بالله اي الذي لا يقسم بغيره جهد ايمانهم اي غاية اجتهادهم فيها لئن
جاءهم نذير اي رسول ليكونن اهدى من احدى الامم اي اليهود والنصارى
وغيرهم اي اي واحد منها لما راوا من تكذيب بعضها بعضا اذ قالت اليهود
ليست النصارى على شي وقالت النصارى ليست اليهود على شي فلما
جاءهم نذير اي على ما شرطوا او زيادة وهو محمد صلى الله عليه وسلم
الذي كانوا يشهدون انه خيرهم نفسا واشرفهم نسبا واكرمهم خلقا
ما زادهم اي مجيئه شيا مما هم عليه من الاحوال الا نفورا اي تباعدا عن
الهدى لانه كان سببا في زيادتهم في الكفر كالابل التي كانت نفرت
من ربها فضلت عن الطريق فدعاها فازدادت بسبب دعايه نفرة
فصارت بحيث يتعذر او يتعسر ردها فتبين انه لا عهد لهم مع ادعايهم
انهم اوفى الناس ولا اصدق عندهم مع جزمهم بانهم اصدق الخلق ثم علل نفورهم
بقوله تعالى استكبارا اي طلبا لايجاد الكبر لانفسهم في الارض اي
التي من شانها السفول والتواضع فلم يكن نفورهم لامر محمود ولا مباح
ويجوز ان يكون استكبارا بدلا من نفورا وان يكون حالا اي حال كونهم
مستكبرين قاله الاخفش وقوله تعالى ومكر السيئ فيه وجهان اظهرهما
انه عطف على استكبارا والثاني انه عطف على نفورا وهذا من اضافة الموصوف
الى صفته في الاصل اذ الاصل والمكر السيئ والبصريون يؤولونه
على حذف موصوف اي العمل السيئ الذي من شانه ان يسو صاحبه وغيره
وهو ارادتهم لاهانة امر النبي صلى الله عليه وسلم واطفاء نور الله عز وجل
وقال الكلبي هو اجتماعهم على الشرك وقتل النبي صلى الله عليه وسلم
وقرا حمزة في الوصل بهمزة ساكنة اي بنية الوقف اشارة الى تدقيقهم
المكر واتقانه واخفايهم جهدهم والباقون بهمزة مكسورة واذا وقف
حمزة ابدل الهمزة وادغم اليا الاولى في الثانية ووقف الباقون بهمزة
ساكنة ولا اي والحال انه لا يحيق اي يحيط احاطة لازمة ضارة
المكر السيئ اي الذي هو عريق في السو الا باهله اي وان اذى غير
اهله لكنه لا يحيط بذلك الغير فان قيل كثيرا ما نرى الماكر يمكر ويفيده
المكر ويغلب الخصم بالمكر والاية تدل على عدم ذلك اجيب باجوبة

احدها

١٩٤

احدها ان المكر في الاية هو المكر الذي مكروه مع النبي صلى الله عليه وسلم من
العزم على القتل والاخراج ولم يحق الا بهم حيث قتلوا يوم بدر وغيره ثانيها انه
عام وهو الاصح ويدل له قول الزهري بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله تعالى يقول هذه الاية ولا تبغوا ولا تعينوا
باغيا يقول الله تعالى انما بغيكم على انفسكم ولا تنكثوا ولا تعينوا ناكثا
قال تعالى فمن نكث فانما ينكث على نفسه ثالثها ان الاعمال بعواقبها
ومن مكر غيره ونفذ فيه المكر في الظاهر فهو في الحقيقة هو الفايز والماكر هو الهالك
كمثل راحة الكافر ومشقة المسلم في الدنيا ويويد هذا المعنى قوله تعالى فهل
ينظرون اي ينتظرون الا سنة الاولين اي سنة الله تعالى فيهم من تعذيبهم
بتكذيبهم رسلهم والمعنى فهل ينتظرون الا ان ينزل بهم العذاب كما نزل
بمن مضى من الكفار ولما كان هذا النظر يحتاج الى صفاء اللب وذكاء النفس
عدل عن ضميرهم الى خطاب على الخلق بقوله تعالى فلن تجد اي في وقت من الاوقات
لسنت الله اي طريقة الملك الاعظم التي شرعها وحكم بها وهي اهلاك
العاصين وانجاء المطيعين تبديلا اي من احد ياتي بسنة غيرها تكون
بدلا لها لانه تعالى لا مكافئ له ولن تجد لسنة الله اي الذي لا امر لاحد معه
تحويلا اي من حالة الى اخف منها لانه لا مرد لقضايه فائدة
ترسم سنت لسنت الثلاثة بالتاء المجرورة كما رايت ووقف ابو
عمرو وابن كثير والكسائي بالها والباقون بالتاء واذا وقف واذا امال
الهاء على اصله ولما ذكر الله تعالى الاولين وسنتهم في اهلاكهم نبههم
بتذكير حال الاولين بقوله تعالى اولم يسيروا فيما مضى من الزمان في
الارض اي التي ضربوا في المتجر بالسير اليها في الشام واليمن والعراق
فينظروا اي فيتسبب عن ذلك السير انه يتجدد لهم نظر واعتبار
يوما من الايام فان العاقل من اذا راي شيا تفكر فيه حتى يعرف ما ينطق
به لسان حاله ان خفي عليه ما جرى من مقال واشار لسوقه في اسلوب
الاستفهام الى انه لعظمه خرج عن امثاله فاستحق السوال عن حاله
كيف كان عاقبة اي اخر امر الذين من قبلهم اي على اي حالة كان احدهم
ليعلموا انهم ما اخذوا الا بتكذيب الرسل فيخافوا ان يفعلوا مثل فعالهم
فيكون حالهم كحالهم فانهم كانوا يمرون على ديارهم ويرون اثارهم واملهم فوق
املهم وعملهم دون عملهم وكانوا اطول منهم اعمارا واشد اقتدارا واوسع
هذا لم يكونوا مثل محمد صلى الله عليه وسلم وانتم يا اهل مكة كفرتم بمحمد ومن
قبله وكانوا اي اهلكناهم لتكذيبهم رسلنا والحال انهم كانوا اشد
منهم اي من هولاء قوة وما كان الله ليعجزه اي الذي له جميع العظمة واكد
الاستغراق في النفي بقوله تعالى ليعجزه اي مريدا لان يعجزه وما انتفى

Copyright ... University